

العرض على الأقران أو (تحكيم النظراء)

أهميته ونشأته وممارسته عند المسلمين

Peer review

د. غالب بن سعود غازي السيف

gs.alsaif@uoh.edu.sa

أستاذ مساعد الثقافة الإسلامية جامعة حائل السعودية

تاريخ الإرسال: 2021/05/09	تاريخ القبول: 2021/11/14	تاريخ النشر: نوفمبر 2022
---------------------------	--------------------------	--------------------------

الملخص: على خلاف ما يظن أن عملية تحكيم النظراء هي إحدى ثمرات البحث العلمي الحديث وأنه لا يوجد مصطلح عربي مرادف للمصطلح الإنجليزي Peer review الذي يقصد به عرض البحث على مجموعة من المحكمين لإبداء آرائهم في إيجابيات وسلبيات العمل، أثبت هذا البحث أنه هذا العملية؛ كعلم وفن، عرفت في العالم الإسلامي مبكراً جداً، ومورست بشكل واسع، وأنه يوجد مصطلح إسلامي أقدم لهذه العملية هو "العرض على الأقران". لقد طبق العلماء المسلمون منهج العرض على الأقران أو تحكيم النظراء بصورة واسعة وفي جميع التخصصات بدءاً من الحديث ومروراً بالفقه واللغة. في هذا العمل سوف أتناول تطبيق العلماء المسلمين مبدأ العرض على الأقران في عصور الإسلام الأولى وقبل ظهور أي منهج نقدي حديث.

Abstract: Contrary to what is thought that the peer review process is one of the results of modern scientific research and that there is no Arabic term synonymous with the English term peer review, which is intended to present the research to a group of referees to express their views on the pros and cons of the work, this research proved that it is this process; As a science and art, it was known in the Islamic world very early and widely practiced, and that there is an older Islamic term for this process which is "peer review." Muslim scholars have applied the method of peer review or peer arbitration widely in all disciplines from hadith to jurisprudence and language. In this work I will deal with the application of Islamic scholars to the principle of presentation to peers in the early ages of Islam and before the emergence of any modern critical approach.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن كثيراً من الممارسات الأكاديمية المعاصرة والحديثة كانت تمارس على نحو واسع في التاريخ الإسلامي، وربما اقتبستها الثقافة الحديثة من الحضارة الإسلامية سواء بوصفها ورسمها أو حتى باسمها. ومن الممارسات العلمية الأكاديمية التي كانت أصيلة في الثقافة العربية والإسلامية بعدها عملية تحكيم النظراء. رغم ما قد يظن من أنها وليدة التطور العلمي والأكاديمي المعاصر إلى أنها في الحقيقة متجذرة في ثقافتنا العربية والإسلامية.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تظهر أهمية هذا البحث من كونه يهدف إلى تنظير ممارسة علمية شائعة في تاريخ العلوم الإسلامية، ووضع أساساً نظرياً لها، مع الكشف عن الأساس التاريخي وهو الممارسة الفعلية لهذا النشاط بين علماء المسلمين. ورغم معرفة المسلمين القديمة لهذه الممارسة (تحكيم النظراء) إلا أنه وبشكل مثير لا نجد كتابات عربية في هذا الميدان، إلا نقلاً عن مصدر غير عربي. وحتى هذه المنقولات شابها أغلاط كبيرة بناء على هذا الواقع، حتى توهم العلماء المعاصرون إنه لا يوجد ترجمة عربية للمصطلح. بينما المصطلح مستخدم في القرن الأول باسم "العرض" سواء كان عرضاً على المختصين كالمحدثين، أو الأقران، وهو الترجمة العربية لـ "مراجعة النظراء".

هدف البحث: هدفي هنا أن أبين نشأة ومنهج "تحكيم النظراء" أو ما عرف قديماً "بالعرض"؛ في القرون الأولى في الثقافة الإسلامية.

الدراسات السابقة:

رغم وجود كتابات قديمة تنتظر لعملية تحكيم النظراء أو العرض على الأقران، لكنني وعن طريق المسح الأدبي لم أجد كتابات حديثة بالغة العربية في تنظير وأساس علم وفن "تحكيم النظراء" بينما كثرت في هذا الموضوع الكتابات الغربية، بيد أن بحثي يتميز بتأصيل الممارسة عند المسلمين والعرب. على سبيل المثال البحوث الآتية كتبت عن هذه الممارسة بشكل موسع لكن بلغات غربية:

1- Peer Review, Peer Education, and Modeling in the Practice of
Mark Clinical Ethics Consultation: The Zadeh Project, Stuart G. Finder
Blyton. لـسبتمبر 2018

2- The Discourse of Peer Review: Reviewing Submissions to
Brian Paltridge, Academic Journals مارس 2017

المبحث الأول

تمهيد

المطلب الأول: أهمية تحكيم النظراء

يعتبر التحكيم العلمي مقياس لعملية البحث العلمي كلها -في جميع مراحلها- وتقييم لجودة المخرجات والنتائج والثمرات التي تنمها المؤسسات العلمية. وفن التحكيم فن مستقل عن العلم موضوع البحث؛ ويختلف عن العلم بأصول وقواعد خاصة، فقد يكون المحكم عالماً بالعلم موضع البحث لكنه لا يقوم بفصل التحكيم فيها، وقد يكون المحكم متمرساً راسخاً يأتي التحكيم من وجهه باختصار وإيجاز في عمله بالسرعة اللائقة والدقة الفائقة. ولهذا الفن فوائد علمية كثيرة وأساسية في نجاح وقيام وتحقيق نتائج البحث العلمي. ومن فوائد معرفة أصول التحكيم أن المحكم يستطيع بفضلها الوصول إلى الحكم والفصل وتقييم البحث بأوجز الطرق وأتقنها، فمعرفة أصول التحكيم مما يساعد المحكم؛ بل وجميع أطراف العملية العلمية؛ على اختصار الوقت، وتجنب التطويل، ورفع الشك، مع الضبط والإتقان، في البحث العلمي.

المطلب الثاني: تعريف عملية تحكيم النظراء وأهم مناهجها:

تحكيم النظراء هو عرض البحوث العلمية والمؤلفات على محكمين، والتحكيم العلمي للبحوث الأكاديمية هو علم وفن. فهو علم لأنه يخضع لقواعد ثابتة ومطرده واضحة ومتفق عليه بين العلماء - ومنظم أي (وفق قواعد علمية وليس عشوائياً). وهو فن حديث (حيث تطور مع تطور منهج البحث العلمي الحديث؛ وأصبح يطبق بصورة شاملة وواسعة؛ وعلى الوجوب؛ في جميع مراحل البحث العلمي، يهدف لتقييم وتقويم البحوث العلمية في جميع مراحلها الأكاديمية. وهو فن بمعنى طريقة تطبيق علم النقد (التحكيم) على البحوث العلمية، وهو يحتاج لتمرس وخبرة. وفي العالم الحديث اليوم لا تختص هذه العملية بالنشاط الثقافي بل تمتد أيضاً للنشاط التجاري وهي عبارة عن قيام مؤسسة أو برنامج بالخضوع لمقومين خارجيين من المؤسسات أو المهن المماثلة ومختصة بالمجال المعني.²

يعتمد تحكيم النظراء أو العرض على الأقران؛ كما في سائر العلوم، جميعاً في تحقيق أهداف ثلاثة: التفسير، والتنبؤ، والضبط، وفقاً للأسلوب العلمي، ذلك لأنه يَتَمَيَّزُ بالدقة والموضوعية، واختبار الحقائق اختباراً يزيل عنها كل شك.³

وبما أن الحقائق العلمية ليست ثابتة؛ بل هي حقائق بلغت درجة عالية من الصدق، إلا أن العالم أو الباحث في العلوم النظرية يختلف عن الباحث في العلوم التطبيقية، فالأول لا يقتنع بنتائجه حتى يزول عنها كل شك، وتصل درجة احتمال الصدق فيها إلى أقصى درجة، أما الثاني فيكتفي بأقصى درجات الاحتمال (واحد من عشرة) يقبلها الباحث التطبيقي؛ في حين لا يقبلها الباحث النظري.⁴

وبما أن نيات الكتاب خارج متناول المحكمين، فإن آراء الكاتب لا تظهر بشكل محدد قاطع من خلال معرفة نواياه، فالبديل الآخر لمعرفتها هو استنباطها عن طريق التفسير أو التحكيم النقدي بما يحتويه من براهين وحُجج.

والوسائل الأساسية المستخدمة في هذا النوع من البحث هي التفسير النقدي والمقارنة المنطقية، وكذلك مستوى رفيع من الإمكانات العقلية يتطلبها التفسير النقدي؛ لأنه سمع أنه ينطوي بالضرورة على حكم شخصي - لكنه مبني على الأسباب المنطقية ومستند إلى التعليل المقبول والمعقول.

والتفسير النقدي له قيمته التي لا يمكن إنكارها والتي بدونها يصعب الوصول إلى استنتاجات عملية في مسائل يندر إيجاد حقائق محدّدة عنها، ومع أن الكشف عن الحقيقة يجمع لنا كثيراً من الحقائق عن الإنسان وعالمه، فإنه يوجد جزء كبير من التجربة البشرية والإنتاج الفني والفكري، لا يمكن بلوغه بالطريقة الواقعية، أو أي طريقة أخرى إلا عن طريق التفسير النقدي، ويتمتع بهذه الخاصية الجزء الأعظم من البحوث التي تجرى في المجال الأكاديمي للعلوم السلوكية والاجتماعية.⁵

ويجب أن يتسم التفسير النقدي بمميزات ثلاث:

أولاًها: أن يقوم على حقائق ومبادئ معروفة في المجال الذي أجريت فيه الدراسة، أو على الأقل يتفق معها.

وثانيتهما: أن تكون الحجج المقدمة في التفسير النقدي واضحة ومعقولة؛ أي إنها يجب أن تتبع المنطق، بحيث تكون الاستنتاجات التي تم التوصل إليها في هذا النوع من النشاط البحثي مستنبطة منطقياً من الحقائق المعروفة، ومن المبادئ التي يطبقها الباحث عند معالجته لمادته.

كما أن الخطوات التي قادت المحكم إلى استنتاجه يجب أن تكون سهلة البرهان ومبنية على المقدمات، ذلك أن الإجراء الأساسي في التفسير النقدي هو الاستنتاج من الوقائع أو المقدمات.

ويجب أن يكون هذا الاستنتاج أميناً حتى يستطيع القارئ تتبع الحجج دون أي معوقات تجعله مضطراً إلى قبول رأي المحكم دون اقتناع به.

وثالثتهما: أنه من المتوقع للتفسير النقدي أن يتمحّض عن بعض التعميمات التي ترتبت على عملية الاستنتاج من الوقائع أو المقدمات، ولهذا فمن المهم أن يكون الرأي الاستنتاجي للباحث مبنياً على الحقائق والبيانات المقبولة في مجال البحث، ومدعومة بالمنطق والبرهان الميسر. فيجب أثناء التفسير النقدي تحاشي وضع استنتاج يعتمد على الخدس أو التخمين أو على مجرد انطباعات عامة أكثر مما يعتمد على التعليل، والمناقشة المنطقية.⁶

المبحث الثاني: "تحكيم النظراء" عند العرب والمسلمين

كممارسة عملية وقواعد نقدية

المطلب الأول: المصطلح والنشأة:

النشأة:

عرف العرب التحكيم كممارسة منتشرة تتعلق بنقد الشعر، ولكن؛ مثل كل علم ومعرفة؛ ومثل كل شيء جميل في تاريخنا، ازدهر علم تحكيم النظراء أو العرض على الأقران مرتبطاً بالإسلام. ويمكننا أن نستدل على مشروعية نشاط التحكيم (كما يفعل أهل كل علم) وجوازه (وأحياناً وجوبه) بآيات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يُسْتَبْطُونَهُمْ﴾ [سورة النساء: 83] وممارسة هذا النشاط العلمي قديم؛ عرفته العرب قبل الإسلام، ثم ازدهر وتطور في فجر الإسلام؛ وصدره نزولاً إلى العصور المتأخرة.

المصطلح عند المسلمين:

على خلاف من يظن أنه لا يوجد مصطلح عربي ثابت مرادف للمصطلح الإنجليزي "بيير ريفيو" Peer review⁷ الذي يقصد به عرض البحث المقدم لجهة علمية أو على مجموعة من المحكمين

لإبداء آرائهم في إيجابيات وسلبيات العمل وإعطاء توصياتهم".⁽⁸⁾ يوجد المصطلح الأقدم "العرض على المحدث".⁽⁹⁾ وتكون الترجمة العربية للتعبير الإنجليزي هي "العرض على الأقران".

المطلب الثاني: الممارسة العملية لتحكيم النظراء في مختلف الفنون:

المسألة الأولى: العرض على الأقران عند الأدباء والشعراء:

كان الأدباء والشعراء -مبكراً في تاريخنا- يستخدمون منهج العرض على الأقران، وكان هناك محكمون من الشعراء يقومون بإصلاح الشعر، ربما يكونون ممن يقرض أو حتى يروي الشعر، فلم يكن من بين الرواة من نصب نفسه لإصلاح الشعر واختص بهذا الأمر واقتصر عليه. فقد يكون هؤلاء الرواة المقيمون للشعر: من الشعراء الرواة، أو من رواة القبيلة، أو من رواة الشاعر وقد يكونون من الرواة العلماء. على كل حال كان تقييم وتقويم الشعر موضوع قائم بذاته.¹⁰

ولم يكن من شرط النقد أن يكون الناقد شاعراً بل قد يكون شاعراً ولا يكون ناقداً فهذا البحتري شاعر حاذقٌ مميّز ناقد، مهذب الألفاظ، مثل البحتري، لم يكمل لنقد جميع الشعر. ولو أنّ نقد الشعر والمعرفة كان يدرك بقول الشعر وبالرواية، لكان من يقول الشعر من العلماء ويعرض له أشعر الناس. هذا الخليل بن أحمد، وحماد الراوية، وخلف، والأصمعيّ وسائر من يقول الشعر من العلماء، ليس شعرهم بالجيد من شعر زمانهم، بل في عصر كل واحدٍ منهم خلق كثيرٌ ليس لجماعتهم علم واحد من هؤلاء، وكلهم أجود شعراً. فقد يقول الشعر الجيد من ليس له المعرفة بنقده، وقد يميّزه من لا يقوله. وقد قيل لابن المقفع: لم لا تقول الشعر مع علمك به؟ فقال: أنا كالمنسّ، أشدّ ولا أقطع".¹¹

رغم ندرة ما وصل إلينا من النشاط قبل الإسلام وأن أكثره يرتبط بالشعر، إلا أنه يشي بوجود نشاط معتبر ومشهور وله رجاله المختصين به وأعلامه المنوط بهم:

ففي العصر الجاهلي كان الشعراء والخطباء يجتمعون في سوق عكاظ كل عام، يعرضون إبداعاتهم، وينتظرون آراء النقاد فيها، والحكم لها أو عليها، وكانت تُضرب للناطقة الذبياني قبّة حمراء من جلد، وهذا يدل على احتفاء العرب بالنقد، وإعلائهم لشأن الناقد، ولا بد أن النابغة حكّم في الكثير من القصائد، وقارن بين كثيرين من الشعراء، ولعل حكمه كان مقترناً بالتعليق في العديد منها مما لم يصل إلينا.¹²

التحكيم الأدبي في العصر الأموي:

وهكذا في العصر الأموي؛ كان هناك رواة في القرن الأول يصلحون بعض الشعر فمن ذلك أن شيخاً من هذيل -كان خالاً للفرزدق- دخل على رواة الفرزدق فوجدهم "يعدلون ما انحرف من شعره، ثم أتى إلى رواة جرير فوجدهم كذلك" يقومون ما انحرف من شعره وما فيه من الأخطاء.¹³

وقال الأصمعي: قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله:

فيا لك يوماً خيره قبل شره ... تغيب واشيه وأقصر عاذله

فقال خلف: ويله، وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقال الأصمعي له: هكذا قرأته على أبي عمرو. فقال: صدقت وكذا قاله جرير، وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع. فقال الأصمعي: فكيف كان يجب أن يقول؟ قال: الأجود له لو قال: فيا لك يوماً خيرته دون شره. فاروه هكذا، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء. فقال له الأصمعي: والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا.¹⁴

فخلف إذن يعلم أن الرواة كانوا قديماً يصلحون من أشعار القدماء! وهو في أثناء حديثه يسوغ هذا الإصلاح إذا كان الشاعر "قليل التنقيح مشرد الألفاظ".

ولذلك كان من العسير على الرواة، فيما يبدو، أن يجدوا في شعر شاعر يتروى في شعره، وينقحه ويهذهبه، كزهير مثلاً، ما يصلحونه له. ولذلك نرى من أن حركة التقويم كانت تدور على إصلاح شعر امرئ القيس وعدي ولبيد. وقال ابن مقبل¹⁵: "إني لأرسل البيوت عوجاً فتأتي الرواة بها قد أقامتها".¹⁶ وفي العصر العباسي استمرت هذه الممارسة؛ فهذا أبو الفتح بن العميد¹⁷ كان له نائب كاتب يعرض كتبه على عز الدولة.¹⁸

ويقول علي بن العباس: "رأني البحرزني ومعني دفتر، فقال: ما هذا؟ فقلت: شعر الشَّنْفري قال: وإلى أين تمضي؟ قلت: أقرؤه على أبي العباس أحمد بن يحيى. قال: رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام، فلم أر له علماً بالشعر مرضياً، ولا نقداً له، ورأيت يَنشد أبياتاً صالحةً ويعيدها، إلا أنها لا تستوجب التريـد والإعجاب بها"¹⁹

وكان النقد عند هؤلاء الأدباء يتركز على "نقد الشعر وترتيب الكلام، ووضع مواضعه، وحسن الأخذ، والاستعارة، ونفى المستكره والجاسي صنعةً برأسها".²⁰

القواعد النقدية عند نقاد الشعراء:

هذه الممارسة الواسعة في الأدب نتج عنها ثروة من القواعد النقدية التي استعملها النقاد في نقد الشعر وأصبحت قوانين يحتج بها الناقد عند الحاجة على صحة نظريته النقدية، وهذا يعني أن الممارسة تطورت إلى قوانين نقدية يستخدمها النقاد في نظرهم في الشعر ونقده.

يقول ابن حزم: " الشعر ينقسم ثلاثة أقسام: صناعة وطبع وبراعة. فالصناعة هي التأليف الجامع للاستعارة بالأشياء والتحليق على المعاني والكتابة عنها، ورب هذا الباب من المتقدمين زهير بن أبي سلمى ومن المحدثين حبيب ابن أوس. والطبع هو ما لم يقع فيه تكلف وكان لفظه عامياً لا فضل فيه عن معناه حتى لو اردت التعبير عن ذلك المعنى بمنثور لم تأت بأسهل ولا أوجز من ذلك اللفظ. ورب هذا الباب من المتقدمين جرير ومن المحدثين الحسن (بن هانئ)، والبراعة هي التصرف في دقيق المعاني وبعبدها، والإكثار فيما لا عهد للناس بالقول فيه، وإصابة التشبيه وتحسين المعنى اللطيف، ورب هذا الباب من المتقدمين امرؤ القيس ومن المتأخرين علي بن عباس الرومي؟ ومن أراد التمهـر

في أقسام الشعر ومختاره وإفانين التصرف في محاسنه، فليُنظر في كتاب قدامة بن جعفر في نقد الشعر، وفي كتب أبي علي الحاتمي ²¹ المسألة الثانية: العرض عند الفقهاء:

كان الفقهاء أيضاً يعرضون أعمالهم على المختصين من المحدثين للحكم على ما كتبهم من الروايات ومن ذلك ما يرويه ابن أبي حاتم عن أبيه أنه رجلاً من الفقهاء جاء إلى أبي حاتم ومعه دُفترٌ، فعرضه عليه، فقال له: هذا حديثٌ خطأ؛ قد دخل لصاحبه حديثٌ في حديث، وقال له في موضع آخر من كتابه: "هذا حديثٌ باطل"، وقلتُ في بعضه: هذا حديثٌ منكر، وقلتُ في بعضه: هذا حديثٌ كذبٌ، وسائر ذلك أحاديثٌ صحاحٌ...." ²²

لقد كان العرض على الأقران ضرورة نفسية مهيمنة على العلماء المسلمين حتى يرى بعضهم في نومه عملية العرض كدليل على سيطرتها على نفسية العلماء المسلمين وإدراكهم لأهميتها. ومن أعجب ما روي في عملية عرض الكتب ما رواه ابن كثير في ترجمة محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج الفقيه الطوسي: «كان عالماً ثقةً عابداً يصوم النهار ويقوم الليل، ويتصدق بالفاضل من قوته، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد رحل في طلب الحديث إلى الأقاليم النائية والبلدان المتباعدة، وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء: ثلث للنوم، وثلث للتصنيف، وثلث للقراءة. وقد رآه بعضهم في النوم بعد وفاته فقال له: وصلت إلى ما طلبت؟ فقال: إي والله! نحن عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد عرضتُ مصنفاتي في الحديث عليه فقبلها» ²³

المسألة الثالثة: العرض عند المحدثين:

رغم أن العرض على الأقران كان منهجاً عاماً عند العلماء كما رأينا إلا إنه -لأسباب دينية بحتة- ازدهر وطبق بصرامة عند المحدثين. فقد طَبَّقَ المحدثون المسلمون منهج العرض على الأقران أو تحكيم النظراء؛ بشكل موسع. هكذا كانت سنة المحدثين عرض الكتب قبل إخراجها على المتخصصين وأهل الفن من أساتذته وأقرانه المتميزين.

أولاً: منهج المحدثين في عرض الروايات المفردة:

كان المحدثون يهتمون بعرض رواياتهم على أقرانهم الذين يتقنون بعلمهم بفن الرواية وضوابطها، فيعرضون عليهم ما يقفون عليه من حديث يستنبطون منهم رأيهم بالتصحيح أو التعليل، مقرونا بالعلة التي ينتهون إليها في حكمهم:

ومما وصل إلينا من ذلك:

قال الأعمش: «كان إبراهيم⁽²⁴⁾ صَيَّرَ فِي الحديث، فكنْتُ إِذَا سمعتُ الحديثَ مِنْ بعضِ أصحابنا، أَتَيْتُهُ فَعَرَضْتُه عَلَيْهِ»⁽²⁵⁾.

وقال جرير بن عبد الحميد: «كنْتُ إِذَا سمعتُ الحديثَ جِئْتُ بِهِ إِلَى المغيرة، فَعَرَضْتُه عَلَيْهِ؛ فَمَا قَالَ لِي: أَلْقِهِ، أَلْقَيْتُهُ»⁽²⁶⁾.

وقال قبيصة بن عُتبة: «رَأَيْتُ زائدةً يَعْرضُ كُتُبَهُ عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، ثُمَّ التَّقَتْ إِلَى رجلٍ فِي المَجْلِسِ فَقَالَ: مَا لَكَ لَا تَعْرضُ كُتُبَكَ عَلَى الجَّهَابِذَةِ كَمَا نَعْرِضُ؟!»⁽²⁷⁾.

قال الأوزاعي: «إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ الحديثَ فَنَعْرِضُهُ عَلَى أصحابنا كَمَا نَعْرِضُ الدرهمَ الزائفَ عَلَى الصَّيَّارِفَةِ؛ فَمَا عَرَفُوا أَحَدُنَا، وَمَا أَنْكَرُوا تَرْكُنَا»⁽²⁸⁾.

ثانياً: منهج المحدثين في عرض الكتب:

وكذلك كان يفعل أصحاب الكتب، فكانوا يعرضون كتبهم على من اشتهر بهذا العلم من العلماء النقات الذين لا يرد قولهم في هذا الفن، ومنهم أصحاب الكتب المشهورة:

1 - فهذا الإمام البخاري: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الجَعْفِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ البخاري (194 . 256هـ) صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى من حيث صحة الرواية، لجأ لمنهج العرض على الأقران على

عدد من شيوخه الذين يثق بعلمهم وأمانتهم في الحكم. فقد عرض صحيحه «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه»، على جمع من مشايخه:

قال أبو جعفر العقيلي (ت 322هـ): «لما صَنَّف البخاريُّ كتابَ الصحيح عَرَضَه على ابنِ المدني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث». قال العقيلي: «والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة» (29).

2 - وكذلك فعل الإمام مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين النيسابوري (204 . 261 هـ)، فقد عرض صحيحه «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»، على عدد من مشايخه:

قال مكِّي بنُ عبدان . أحد حفاظ نيسابور .: «سمعتُ مسلم بن الحجاج يقول: عرضت كتابي هذا المسند على أبي زرعة الرازي؛ فكل ما أشار أن له علة تركته، وكل ما قال إنه صحيح وليس له علة أخرجه» (30).

3 - وهكذا فعل الإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني (202 . 275 هـ) الذي عَرَض كتابه «السنن» على شيوخه الأول الإمام أحمد بن حنبل:

قال الخطيب البغدادي: «يقال: إنه صنف كتابه السنن قديماً، وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه» (31).

4 - ومن ذلك ما فعل الإمام مُحَمَّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (209 - 279 هـ) فقد عَرَض كتابه «الجامع» على عدد كبير من مشايخه:

قال أبو عيسى الترمذي: «صنفتُ هذا الكتاب يعني المسند الصحيح فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به» (32).

5 - وكذلك فعل الإمام محمد بن يزيد بن ماجه أبو عبد الله (209 . 273 هـ) فقد عَرَض كتابه «السنن» على شيوخه أبي زرعة الرازي:

قال ابنُ ماجه: «عرضتُ هذه السنن على أبي زرعة الرازي فنظر فيها، وقال: أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع، أو أكثرها، ثم قال: لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً مما في أسناده ضعف أو نحو ذا» (33).

6 - وممن مارس عملية التحكيم الحافظ عبد الرحمن بن محمد الاستراباذي المعروف بالإدرسي (ت 405هـ):

قال ابن كثير: «وسكن سمرقند، وصنف لها تاريخاً، وعرضه على الدارقطني فاستحسنه» (34).

7 - وكذلك الحافظ أحمد بن طاهر أبو العباس الداني الأندلسي (467 . 532 هـ):

قال ابن الأبار: «وله تصنيف على الموطأ سماه كتاب الإيماء ضاهى به كتاب أطراف الصحيحين لأبي مسعود الدمشقي، وعرضه على شيخه أبي علي الصدفي فاستحسنه، وأمره ببسطه فزاد فيه» (35).

8- وكذلك شعيب بن إسحاق (بن عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد الذي كانت ميزته الأولى أنه كان يعرض كتبه على الناس.³⁶

وكان العلماء يأتون سليمان بن مهران الأعمش فيكتبون عنه ثم يعرضون ما كتبوه على سفيان، ثم يقومون بالتعديلات التي يقولها.³⁷ وكانوا ينكرون على من لا يعرض كتبه على العلماء كما يفعل عامة العلماء:

" قَالَ قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ: رَأَيْتُ زَائِدَةَ يَعْضُ كُتْبَهُ عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ثُمَّ انْتَقَتْ إِلَى رَجُلٍ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ: مَا لَكَ لَا تَعْضُ كُتْبَكَ عَلَى الْجَهَّابِذَةِ كَمَا نَعْضُ؟³⁸

الحقيقة في ضوء هذه الروايات نستطيع أن ننسج صورة واضحة لممارسة مبكرة لعملية تحكيم النظراء في العصور الإسلامية الأولى على نفس الأسس التي تطبقها اليوم أحدث جامعات العالم ووفق أحدث نظريات البحث العلمي.

وقد أصبح العرض على الأقران علماً تؤلف فيه الكتب الخاصة بها مثل سائر العلوم الإسلامية، فكما أن هناك مبحثاً في كتب التراث المعنية بالتوثيق العلمي يسمى مبحث العرض وهو عرض المؤلف كتابه على من يثق في علمه وفهمه.³⁹ وهناك أيضاً مصنفات كاملة في بيان منهج العرض، من ذلك ما فعل إمام الحديث مصنفات علي بن المديني في كتابه "كتاب العرض على المحدث" وقد طبع في جزئين. (40)

ملخص البحث

- 1- تبين للباحث أن ممارسة عملية تحكيم النظراء قديمة قدم تاريخ الإسلام، وأنه استندت على أساس نظري هو الحكم بين الخصوم بشكل عام، وحتى اليوم وفي العصر الحديث لم تقتصر هذه العملية على النشاط الثقافي بل امتدت لتشمل كل نشاط إنساني يحتاج إلى تنظيم.
- 2- مثل كل شيء دقيق وجميل في حضارتنا نشأ علم تحكيم النظراء ولو بصورة أولية مرتبطاً بديننا.
- 3- تهدف عملية تحكيم النظراء أو العرض على الأقران لضبط ودقة وسلامة البحث العلمي ونتائجه.
- 4- تقوم عملية تحكيم النظراء على قواعد وأصول نقدية ومنطقية، وتفسر العمل العلمي تفسيراً نقدياً وفق خطوات متناسقة.
- 5- على خلاف ما قد يظن أن عملية تحكيم النظراء هي إحدى منجزات العصر الحديث وتحمل بذلك براءة اختراعه، أثبت في هذا العمل أن عملية تحكيم النظراء عرفت بشكل واسع في قرون الإسلام الأولى.
- 6- كان لدى المسلمين الأساس النظري للتحكيم الأقران أو النظراء باعتباره نشاطاً يشبه القضاء لكن في المجال الثقافي فيقوم المحكم بالفصل في الحكم على عمل علمي بأحد الأحكام المعروفة في مجال التحكيم وبناء عليه يقبل العمل أو يرد.
- 7- طبق العلماء المسلمون عملية تحكيم النظراء أو العرض على الأقران بشكل عام في الأدب والشعر، وبشكل خاص ودقيق في الحديث والرواية.
- 8- مارس المسلمون نشاط التحكيم في صورة نشاط نقدي سواء في الأدب أو اللغة أو في الفقه والحديث.
- 9- أدت ممارسة تحكيم النظراء بشكل واسع وقريب من الوجوب إلى أن أختصه العلماء بأبواب وفصول في كتبهم ومنهم من أفرده في كتاب مستقل.
- 10- مارس عملية تحكيم النظراء الأدباء والشعراء والفقهاء والمحدثين.

المراجع والمصادر

1. الآداب الشرعية عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق الأرنؤوط وآخرون، طبعة مؤسسة الرسالة.

2. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن خليل القزويني (توفي: 446هـ) المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409.
3. الأغاني، الأصفهاني، أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن الهيثم المرواني الأموي القرشي (توفي 256هـ) طبعة: دار الكتب المصرية القاهرة 1371هـ = 1952 م.
4. الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
5. البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2002.
6. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (توفي: 774هـ)
7. تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب - ابن النجار، تحقق: بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، 1422 - 2001.
8. تاريخ مدينة دمشق تاريخ مدينة دمشق تاريخ دمشق، ابن عساكر، التأريخ، طبعة دار الفكر.
9. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
10. تغليق التعليق على صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: سعيد القزفي، طبعة المكتب الإسلامي - دار عمار، 1405 - 1985.
11. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، زين الدين العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الأولى، 1389هـ/1969م.
12. التكملة لكتاب الصلاة، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، (تحقيق الهراس)، 1415 - 1994.
13. التمييز؛ الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق الأعظمي.
14. تنبيه الحكام على مأخذ الأحكام، محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ (ابن المناصف)، توفي 620 هـ
15. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكفائي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، (ط. المعارف) سنة النشر: 1327
16. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان ط مكتبة المعارف - الرياض، 1403.
17. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (توفي: 327هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر

آباد الدكن - الهند دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 1271 هـ 1952 م

18. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (توفي: 430هـ) طبعة دار السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م مصورة دار الكتاب العربي - بيروت و دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

19. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (توفي: 748هـ) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.

20. شرح قانون الاجراءات الجنائية، محمود نجيب حسني، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، 1998.

21. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، نقي الدين المعروف بابن الصلاح (توفي: 643هـ) المحقق: موفق عبد الله عبد القادر، طبعة دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية، 1408.

22. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

23. الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (توفي: 463هـ) المحقق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

24. مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (توفي: 291هـ) طبعة دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

25. مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، طبعة دار المعارف بمصر، السابعة 1988.

26. معرفة علوم الحديث المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (توفي: 405هـ) تحقق: السيد معظم حسين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1397 هـ - 1977م.

27. معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، تحقيق د. أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، 1424 = 2003.

28. مناهج البحث في العلوم الإنسانية، محمود أحمد درويش، طبعة مؤسسة الأمة العربية للنشر، 2018.
29. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، طبعة مؤسسة قرطبة، 1414 - 1994.
30. منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية، مصطفى نمر دعمس، طبعة دار المنهل، 2008.
31. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (توفي: 733هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
32. الوجيز في شرح قانون الاجراءات الجنائية، عمر محمد سالم، دار النهضة العربية، 2010.

-
- ¹ انظر: البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2002، ص 10.
 - ² انظر: إدارة الجودة الشاملة، عبد الله حسن مسلم، دار المعتز، عمان الأردن، الأولى، 2014، ص 248.
 - ³ انظر: مناهج البحث في العلوم الإنسانية، محمود أحمد درويش، طبعة مؤسسة الأمة العربية للنشر، 2018، ص 50.
 - ⁴ منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية، بواسطة مصطفى نمر دعمس 2008، ص 44.
 - ⁵ و "البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2002، ص 38.
 - ⁶ منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية، مصطفى دعمس، طبعة دار المنهل، 2008، ص 38.
 - ⁷ انظر: تحكيم النظراء، د أمين بردين، مقالة على موقع فيس بوك تاريخ المراجعة 2020/9/5، <https://zh-cn.facebook.com/AminBredanEditor/8A/929092010590758>.
 - ⁸ المصدر السابق.
 - ⁹ معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، تحقيق د. أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، 2003=1424، ص 261-262.
 - ¹⁰ مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، طبعة دار المعارف بمصر، السابعة 1988، ص (241/1).

- 11
- 12 المصون في الأدب، أبو أحمد العسكري،
- 13 الأغاني "دار الكتب" 4: 258-256.
- 14 الأصفهاني الأغاني 4: 258. وانظر: مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، ص (244/1)
- 15 مجالس ثعلب، طبعة دار المعارف، مصر، بدون تاريخ، ص 481.
- 16 مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، ص (244/1)
- 17 ابن العميد هو الكاتب محمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل بن أبي عبد الله المعروف بابن العميد لقب والده بذلك.
- 18 نهاية الأرب في فنون الأدب، البكري، شهاب الدين النويري طبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1423 هـ. ص: (26/122).
- 19 المصدر نفسه.
- 20 المصدر نفسه.
- 21 كتاب "التقريب لحد المنطق"، عن إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، الطبعة الأولى، 1960، دار الثقافة، بيروت، ص 187.
- 22 الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن، إدريس الرازي. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 1422هـ/2002م، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص349-351).
- 23 انظر: البداية والنهاية (229/11).
- 24 إبراهيم بن يزيد النخعي تابعي محدث وفقه وقارئ كوفي، وأحد أئمة رواة الحديث النبوي. ولد 666 م، بالمدينة المنورة وتوفي 714 م، بالعراق.
- 25 أخرجه الحاكم في "معرفه علوم الحديث" (ص16)، والخليلي في "الإرشاد" (556/2)، وأبو نعيم في "الحلية" (220-219/4).
- 26 "الكفاية، في علم الرواية" للخطيب (ص431).
- 27 "الأدب الشرعية" لابن مفلح (127/2).
- 28 الكفاية" للخطيب (ص431)، و"الأدب الشرعية" (126/1)
- 29 تغليق التعليق (423/5)، مقدمة فتح الباري (ص7، 489).
- 30 صيانة صحيح مسلم، ص 67، 100، وشرح النووي على صحيح مسلم (15/1)، وسير أعلام النبلاء (568/12)، ومقدمة فتح الباري، ص 347.
- 31 تاريخ بغداد (56/9).
- 32 التقويد (97/1)، سير أعلام النبلاء (274/13)، تهذيب التهذيب (344/9).
- 33 تاريخ مدينة دمشق (271/56)، سير أعلام النبلاء (278/13).
- 34 البداية والنهاية (354/11).
- 35 التكملة لكتاب الصلة (43/1).
- 36 تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، ص 2 / 162.

- ³⁷ مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (توفي: 230هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، طبعة، مؤسسة نادر - بيروت، الأولى، 1410 - 1990، ص 275.
- ³⁸ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (4/ 132)، "الأدب الشرعية" لابن مفلح (127/2)
- ³⁹ أنظر على سبيل المثال: التمييز؛ الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق الأعظمي، ص 23. والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، زين الدين العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الأولى، 1389هـ/1969م ص 191-192.
- ⁴⁰ انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان ط مكتبة المعارف - الرياض، 1403 ص 2/ 302.